بنت الشيخ جمال الدين ابي الفرج المذكور فاولدها شمس الدين فولاه له انه سمع مشايخ
بغداد يحكون ان عون الدين قال كان سبب ولايتي المخزن اني ضاق ما بيدي حتى
فقدت القوت اياما فاشار علي بعض اهلي ان امضي الى قبر معروف الكرخي رضي الله عنه
فاسال الله عنده فان الدعاء عنده مستجاب قال فاتيت قبر معروف فصليت ودعوت ثم
خرجت لاقصد البلد يعني بغداد فاجتزت بقطفتا وهي محلة من محال بغداد قال فرايت مسجدا
مهجورا فدخلت اصلي ركعتين واذا بمريض ملقى على بارية فقعدت عند راسه وقلت ما تشتهي
فقال سفرجلة قال فخرجت الى بقال هناك فرهنت عنده مئزري على سفرجلتين وتفاحة واتيته
بها فاكل من السفرجلة ثم قال اغلق باب المسجد فاغلقته فتنحى عن البارية وقال احفر هاهنا فاذا
بكوز فقال خذ هذا فانت احق به فقلت اما لك وارث قال لا وانما كان لي اخ وعهدي به
بعيد وبلغني انه مات ونحن بالرصافة قال وبينما هو يحدثني اذ قضى فغسلته وكفنته ودفنته
ثم اخذت الكوز وفيه مقدار خمسماية دينار واتيت دجلة لاعبرها واذا بملاح في سفينة
عتيقة وعليه ثياب رثة فقال معي فنزلت معه واذا به اكثر الناس شبها بذلك الرجل فقلت
من اين انت فقال من الرصافة ولي بنات وانا صعلوك فقلت ما لك احد قال لا كان لي اخ ولي عنه زمان
وما ادري ما فعل الله به فقلت ابسط حجرك فصببت المال فيه فبهت فحدثته الحديث فسالني
ان اخذ نصفه فقلت والله ولا حبة منه ثم صعدت الى دار الخليفة وكتبت رقعة فخرج
عليها اشراف المخزن ثم تدرجت الى الوزارة وقال جدي الشيخ ابو الفرج في كتاب المنتظم
كان الوزير يسال الله تعالى الشهادة ويتعرض لاسبابها وكان صحيحا يوم السبت ثاني عشر
جمادى الاولى من سنة ستين وخمسماية فنام ليلة الاحد في عافية فلما كان وقت السحر قاء فحضر
طبيب كان يخدمه فسقاه شيئا فيقال انه سمه فمات وسقي الطبيب وقال في المنتظم ايضا

بعده بنحو سنة شهر سما وكان يقول انا سقيته ومات الطبيب صح

وكنت ليلة مات الوزير نايما على سطح مع اصحابي فرايت في المنام كان في دار الوزير وهو جالس فدخل
رجل بيده حربة فضربه بها بين انثييه فخرج الدم كالفوارة فضرب الحايط فالتفت فاذا خاتم
من ذهب ملقى فاخذته وقلت لمن اعطيه انتظر يخرج فاعطيه اياه فانتبهت فحدثت اصحابي
فلما استتم الحديث حتى جاء رجل فقال مات الوزير فقال بعض الحاضرين هذا محال انا فارقته
وهو في عافية وجاء الخبر وصح الحديث وقال لي ولده لا بد ان تحسله فاخذت في غسله فرفعت
يده لاغسل مغابنه فلتا لخنا بن مطاوع البدن مثل الابط وغيره واحدها مغبن بفتح الميم
وكسر الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة قال فسقط الخاتم من يده فحين رايته تحيرت
تعجبت من المنام قال ورايت في وقت غسله اثارا في وجهه وجسده تدل على انه مسموم قال
خرجت جنازته غلقت الاسواق ببغداد ولم يتخلف عن جنازته احد وصلي عليه في جامع القصر
وحمل الى باب البصرة في مدرسته التي انشاها وقد درست الان ورثاه جماعة من الشعراء انتهى
كلام ابي الفرج ابن الجوزي وقال مؤلف سيرة الوزير المذكور ان سبب موته كان بلغما دام
لمزاجه وقد خرج مع المستنجد للصيد فسقي مسهلا فقصر عن استفراغه وقد حمل الى بغداد يوم
الجمعة سادس جمادى الاولى راكبا متحاملا الى المقصورة لصلوة الجمعة فصلى ثم عاد الى الدار
فلما كان وقت صلوة الصبح عاوده البلغم فوقع مغشيا عليه فصرخ الجواري فافاق فتكلم

وبلغ الخبر ولده عز الدين ابا عبد الله محمد وكان ينوب عنه في الوزارة فبادر اليه فلما دخل
عليه قال له قد بعث استاذ الدار عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة بن المظفر بن
رئيس الرؤساء المعروف بابن المسلمة جماعة ليستعلم ما هذا الصياح فتبسم الوزير على ما هو
عليه من تلك الحال وانشد

وكم شامت بي عند موتي جهالة ٭ بظلم يسل السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله ٭ من الضر بعدي مات قبل مماتي

ثم تناول مشروبا فاستفرغ به ثم استدعى بماء فتوضأ للصلوة وصلى قاعدا فسجد فابطا
عن القعود من السجود فحركوه فاذا هو ميت وصلى عليه الامام المستنجد فامر بدفنه و
خلف ولدين احدهما عز الدين المذكور والاخر شرف الدين ابو البدر مظفر واما مولده فقد
ذكره ابو عبد الله محمد بن الفارسي في تاريخ الوزراء انه ولد في سنة سبع وتسعين واربعماية
على ما ذكره من لفظه رحمه الله تعالى بعضهم رايته في المنام بعد موته فسالته عن حاله فقال

قد سئلنا عن حالنا فاجبنا ٭ بعد ما حال حالنا وحجبنا
فوجدنا مضاعفا ما كسبنا ٭ ووجدنا ممحصا ما اكتسبنا

ولما بلغ خبر موته عضد الدين ابو الفرج استاذ الدار المذكور كان بحضرته سبط ابن
التعاويذي المذكور قبل هذا وهو من موالي بني المظفر واسمه نشتكين فسماه ابنه عبد الله
فاراد سبط التعاويذي ان يتقرب الى قلب عضد الدين لعلمه بما بينه وبين الوزير فانشد
مرتجلا

قال لي والوزير قد مات قوم ٭ قوم تبكي ابا المظفر يحيى
قلت اهون عندي بذلك رزءا ٭ ومصابا وابن المظفر يحيى

وقال اخر ولا اذكر اسمه الان لكنه من الشعراء المشاهير

الا يا رب مثل الماجد بن هبيرة ٭ يموت ويحيى مثل يحيى بن جعفر
يموت بيحيى كل فضل وسودد ٭ ويحيى بيحيى كل جهل ومنكر

والمقصود ان محاسنه كانت كثيرة وقد اطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها ورايت
في كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تاليف ابي الخطاب بن دحية غلطة احببت التنبيه
عليها في هذا الكتاب لئلا يقف عليها احد فيظنه مصيبا فيما ذكره وهو انه قال في خلافة
المقتفي لامر الله ما مثاله وسعد بوزيره ابي المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة
من ولد الامير الكبير ابي حفص عمر بن هبيرة وقد ذكر المورخون فضائل جمة التي حازها عون
الدين من بعده ثم ذكر مكرمة جرت لعمر بن هبيرة الفزاري امير العراقين في دولة بني امية
وظن ابن دحية ان الوزير المذكور من ذرية ذلك المقدم وعجبت منه في ذلك فان الوزير
شيباني النسب كما شرحناه في اول الترجمة وذلك فزاري النسب كما سياتي في ترجمة
ولده يزيد بن عمر بن هبيرة ان شاء الله تعالى وابن شيبان من فزارة ولا شك انه ما
اوقعه في هذا الغلط الا الموافاة في نسب الوزير فقد جاء فيه عمر بن هبيرة فتوهم ان هذا
هو ذاك وليس الامر كما توهمه ومثل ابن دحية لا يعزب فقد كان حافظا ومطلعا على
احوال الناس وهذا امر واضح لكن الخطا من كل انسان قلت واكثر من جرى ذكره في هذه

Copyright © King Saud University